**الحاج حسيب عواضة**

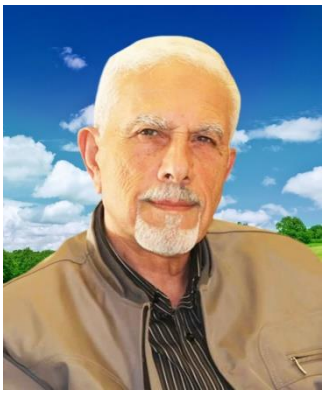

## المجتمع خزان التربية ومصدر تكوّنها

إذا كان النقل الثقافي ضرورة اجتماعية، فإن التربية هي وسيلة هذا النقل التي يتحقَّق بها بقاء المجتمعات واستمرارها وتقدّمها .

التربية أداة المجتمع في تشكيل الأفراد الذين لا يمكن لهم أن ينموا في عزلة ولا يرجع هذا إلي أنهم يشكلون بيئة مناسبة تقدم الحماية ويلعبون أدواراً أكثر أهمية... وذلك لأن وجودهم ضروري للعلاقات التي يكونونها مع بعضهم البعض، وهذه العلاقات تدخل في ذات وجودهم وفي جوهر شخصيتهم .

مما لا شك فيه أن المجتمع مدرسة كبيرة يتلقى فيها الفرد دروساً عملية كثيرة، قد لا يتيسر له أن يتلقاها في حياته من على مقاعد الدراسة بل من المجتمع حيث يكتسب الفرد ما لديه من سلوك ومسيرة... ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل إنه يتلقى دروساً مختلفة الأنواع والصور يصقل بها معارفه وخبراته المدرسية... وبما أن الحياة لا تنقطع بانقطاع الفرد عن الذهاب إلي المدرسة العادية، فإن حياته في المجتمع تعتبر عملية استمرارية للدراسة والبحث والتعليم في المدرسة الكبيرة ( المجتمع ) بما فيه من مهن وأدوات اتصال ووسائل توضيح وبما فيه من نظم تفرضها الدول و المؤسسات العامة وتصقلها التجارب علي مر السنين. وما الإنسان إلا مجموعة من القوى الكامنة حتى تظهرها التجارب وتطلق سراحها الخبرات ...

ركزت المجتمعات الحديثة على أهمية التربية، فأولتها كل الإهتمام والعناية، وخصصت لها المال والجهد، وأعدت الخبراء والمتخصصين... بإعتبار أنها تحتل مكاناً نافذاً لم تحتله في أي عهد من العهود السابقة كما تحتله اليوم في عصر التحول والتقدم من المرحلة الصناعية إلي الثورة المعرفية الى... لهذا فإن التربويين في العالم يهتمون الآن في العملية التربوية وما تؤدي

إليه تلك العملية من خدمات للمجتمعات المتطورة على أنه يمكن الاعتماد عليها سواء في نشر أي فكرة أو رأي أو معتقد معين.

والمجتمع هو الوعاء الذي يضم التربية في داخله، لذلك فهي تتأثر به، بتصوره، أو بإطار حياته، ومن أجل ذلك فإن فعالية برامج التعليم لا تتأتى من تلقاء نفسها، ولا تفرض عليه من الخارج بقوانين خارجة عن طبيعته الاجتماعية، وعن ظروف الزمان والمكان الذي يعيش فيه هذا التعليم، ولذلك يجب دراسة المجتمع وثقافته الخارجية.

وهكذا يمكننا القول أن التربية تعمل بالضرورة في ضوء نظام اجتماعي معين، يميزه أفراده، ويختارونه من بين نظم اجتماعية أخرى، لتحقيق أهداف معينة. فهي تعبر عن وجهة اجتماعية خاصة، لأنها تعني اختيار نمط معين في هذه الأنظمة . ومعنى هذا أن محور الدراسة في التربية هو المجتمع، فمنه تشتق أهدافها، وحول ظروف الحياة فيه مناهجها، إذ لا قيمة للفكر التربوي النظري إلا إذا كان هذا الفكر مقترنا ببعض ديناميكيات العمل التطبيقي... لابد أن يترجم الفكر إلي واقع اجتماعي.

إن التربية ضرورة اجتماعية ، وترتبط بالمجتمع ارتباطاً عضوياً ، وتهدف إلى الاهتمام به ، وتلبية حاجاته وتكييف أفراده مع بيئتهم ، من خلال تفاعلهم المستمر ، الذي يضمن لهم تسرب أسلوب حياة مجتمعهم ، واستيعاب ثقافته ، وكذلك لا توجد تربية دون مجتمع فالعلاقة بينهما متبادلة ، ووثيقة الصلة ، فلهذا تعتبر التربية مرآة المجتمع تمتد بجذورها في داخل النظام الاجتماعي للمجتمع ، وتكشف عن خصوصياته وتميزه عن غيره من المجتمعات وقد اختلف المربون عبر العصور التاريخية في علاقة التربية بالمجتمع ووظيفتها تجاهه . فرأى فريق منهم وعلى رأسه أرسطو ، إن مهمة التربية هي نقل التراث الثقافي ، والعمل على استقرار المجتمع ، وبقاء أوضاعه الراهنة كما هي . أما الفريق الآخر من المربين وعلى رأسه أفلاطون ، فقد رأى أن مهمة التربية هي ، اصلاح المجتمع ، وتحسين أوضاعه القائمة ، وذلك عن طريق التدقيق في التراث الثقافي وتنقيحه وتخليصه من الشوائب والفساد ، قبل أن يتم نقله إلى الأجيال الصاعدة .

ولقد سادت النظرة التقليدية المحافظة للتربية منذ أقدم الأزمان وفي مختلف الحضارات والشعوب ، حتى أواخر القرن الثامن عشر عندما قامت الثورة الفرنسية، حيث أخذت طلائع المربين التحرريين التقدميين تتبنى الدور التقدمي للتربية الذي نادى به أفلاطون منذ قرون عديدة ، وهو بناء مجتمع جديد أفضل من المجتمع القديم .

وعلى ضوء هذا المجتمع وتركيبه وتنظيمه ، يستطيع رجال التربية وضع السياسات والأهداف والخطط التربوية التي تلبي حاجات المجتمع وأفراده ، وتراعي قيمه وتعالج مشكلاته . ومن هنا فإن دراسة طبيعة المجتمع وتنظيمه مهمة وأساسية في نظام التربية وتقدم المجتمع . وقبل الخوض في بناء المجتمع وتنظيمه ، لا بد من الإشارة إلى المراحل التي مرت بها التجمعات البشرية حتى وصلت إلى هذا التنظيم الدقيق للمجتمع . ونحن نعلم أن الإنسان كائن اجتماعي كما يقول أرسطو ، ولذا فهو لا يعيش بمفرده ، وانما يميل إلى التجمع بأفراد نوعه من بني الإنسان ، ويتخذ هذا التجمع الإنساني أشكالاً مختلفة كالآتي :

ـ الحشد (Aggregate) : ويعتبر من أبسط أشكال التجمعات ، وتكون بداية تكوينه تلقائية أي بدون وعي أو قصد ، ويتميز بمجرد التقارب المكاني بين الأفراد ، دون أن يرتبط ذلك بأي نوع من التنظيم أو التأثير المتبادل ، أو أية علاقة من نوع آخر .

ـ الجمع (Collective) : ويتميز بوجود التفاعل بين الأفراد ، مع الإحساس بوحدة التركيب ووحدة المصالح والنشاط .

ـ المجتمع (Society) : اختلف علماء الاجتماع في تعريفه ، ومن اشهر التعاريف الواردة في مؤلفات علم الاجتماع ما يلي :

- جينزبيرج (M. Ginsberg): يعرف المجتمع بأنه تعبير عن كل صلة للإنسان بالإنسان سواء أكانت هذه الصلة مباشرة أم غير مباشرة، منظمة أم غير منظمة وعن وعي أم بدون وعي، تتميز بالتعاون أم تتميز بالعداء ".

- يوبانك (E. Eubank) : يعرف المجتمع بأنه عبارة عن " مجموعة من الناس عاشوا وعملوا لفترة من الزمن بلغت من الطول ما مكنهم من تنظيم أنفسهم ، واعتبار أنفسهم وحدة اجتماعية لها حدودها المعروفة" .
- مارشال جونز (M. Jones) : يطلق هذا الاصطلاح على نوع معين من الجموع ، يتميز بالاكتفاء الذاتي ، فالجمع الذي يستطيع تزويد افراده بكل احتياجاتهم دون الاستعانة من خارجه يعتبر مجتمعاً.
- هاري جونسون (H.Johnson) المجتمع ، مجموعة من الناس تتميز بالخصائص الأربعة التالية : الثقافة الجامعة ، والاستقلال ، والتكاثر عن طريق الجنس ، واقليم الأرض المحدد

**1-مكنون التربية وهدفها**

كل نظام اجتماعي له هدفه الخاص ضمن أهداف المجتمع العامة والكلية والمتكامل، و التربية نظام اجتماعي ضمن هذه الأنظمة وضمن النظام الكلي للمجتمع. هدفها إعداد القوى البشرية للأنظمة الاجتماعية المختلفة، لأنها تتكون من ثقافة المجتمع وتعطيها وتغذي الأجيال الجديدة علي هذه الثقافة وما تحدثه من تطوير فيها.

**2-المؤسسات التي تساهم في رفع مستوى المساهمة في التربية الاجتماعية (المكتسبة اجتماعياً):**

أ-مؤسسات على درجة كبيرة من الثبات والإستقرار، لها دستورها الخاص كالأسرة ، والمدارس ، ودور العبادة...

ب-جماعات لها نظام خاص ومنها :

- المنظمات الخاصة بالأعمال والمهن " كغرف التجارة والصناعة و الزراعة، وروابط أصحاب المصانع.
- الجمعيات الخيرية.
- النقابات بأنواعها.

- النوادي الرياضية(التربية الرياضية والبدنية).

ج- الهيئات: وهي جماعة مشكلة لها نظامها الخاص بها، وقد أنشئت لتأدية خدمات معينة ومحددة، مثل: المكتبات ، جمعيات الخدمات الاجتماعية ، مراكز الإرشاد الزراعي ، جمعية الشبان المسيحية ...

د-جمعيات أهلية لها أهدافها الخاصة، تعمل لخدمة الأفراد والمجتمعات على كل الأصعدة.

**3- مساهمة التربية في تقدم المجتمعات وتطورها:**

كل جماعة من الجماعات تسعى إلي أن ترفع مستوى الحياة فيها لترقى إلي مستوى العصر الذي تعيش فيه، علي أن يكون ذلك في إطار قيمتها ومثُلُها العليا، وهذا لا يأتي إلا بالتربية التي لولاها لتدنت المجتمعات وربما مسحت من الوجود.

وهنا لابد من إلقاء الضوء على :

**أ-أهمية التربية للفرد**

التربية ضرورة فردية من جهة، وضرورة اجتماعية من جهة أخرى، فلا يستطيع الفرد الإستغناء عنها، ولا المجتمع أيضاً. وكلما يرقى الإنسان ويتحضر تزداد حاجته إلي التربية وتصبح شيئاً ضرورياً لا كمالياً، فالتربية تحقق للفرد عملية الإنتماء الاجتماعي، كما تحقق له الإستمرار النفسي، فيشعر بالانتماء والانضمام إلي جماعة تقبله مع أعضائها في كثير من القيم والاتجاهات.

فالفرد يحتاج إلي التربية لأنه يولد مختلفاً من النضج والنمو، ويظل فترة طويلة لا يملك ما يساعده علي رعاية نفسه، والتفاعل مع غيره ، فهو يحتاج إلي كل عناية جسمية ونفسية واجتماعية من جانب الكبار المحيطين به، والذين يطبعونه على حياة الجماعة، فيضاعفون رصيده من المهارات والأفكار مما يجعله بحاجة إلي كثير من الخبرات التي تعينه علي التكيف مع البيئة، والتوافق مع ظروف الحياة المتغيرة المتجددة... وهكذا تعود ضرورة التربية وأهميتها بالنسبة للفرد لأسباب عديدة منها :

- العلم لا ينقل من فرد لآخر بالوراثة : وبمعنى آخر الثقافة ليست مورثة بيولوجياً كلون العين وطبيعة الشعر والقدرات الخاصة، وإنما هي ميراث اجتماعي كافحت الأجيال البشرية المتلاحقة لإكتسابه وحفظه عبر السنين بالجهد والعرق إذا ما أراد جيل الكبار نقل تراثه الثقافي إلي الصغار فلابد له من عملية تربية تساعد في هذا الأمر. وقدأكد أهمية التربية للفرد وحاجته إليها العلماء والمربين فقال الإمام الغزالي " لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الهمجية إلي حد الإنسانية".

**ب- أهمية التربية للمجتمع:** تمكن التربية المجتمع من أن يرى نفسه، ويراجع ذاته، ويبحث أوضاعه، سعياً وراء التجديد، وتمكن كل جيل من أن يتناول ما يصل إليه من تراث ثقافي بالإضافة والحذف والتغيير فيه والتصحيح والتطوير.

كذلك الحضارة الإنسانية تدين بوجودها إلي التربية، التي تمكن كل جماعة من أن تنتقد نظامها، وتصحح عيوبها، وتعالج مشكلاتها، وتواجه التحديّات المختلفة التي تواجهها. فالتربية هي الوسيلة لبناء البشر وتزويد الأفراد، تبعاً لأعمارهم وقدراتهم ومستويات نضجهم، بالمواقف التي تنمي العقلية الإبتكارية التي تمكنهم من اكتشاف آفاق جديدة تنهض بواقعهم. إنها وسيلة بقاء المجتمع واستمراره وتثبيت أهدافه ومفاهيمه واتجاهاته وصنع مستقبله وبناء قوته السياسية والاجتماعية....

للتربية الحسنة أهمية كبيرة في العديد من المجالات نذكر منها:

- تساعد على تنشئة جيل حسن الاخلاق قادر على التعامل مع الآخر واحترامه، ويساعد على تحسين صورة المجتمع وسمعته بين المجتمعات الأخرى.

- تمثل التربية خط الدفاع في وجه السلبيات التي تعاني منها المجتمعات ، إذ كلما ارتفع مستوى التربية كلما ارتفع مستوى الأخلاق، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على مستوى الجرائم.
- تجعل التربية الفرد قادراً على العطاء، لأن الانسان الذي ينال قدراً عالياً من التربية يكون على مستوى أرقى من الإحساس بالآخرين ، والاسراع الى مساعدتهم عند تعرضهم للمشاكل الاجتماعية.
- تساعد في الرفع من الانتاجية السوية.

**4-حاجات المجتمع التربوية**

الغرض من التربية بالإضافة إلي الإهتمام بالفرد هو الإهتمام بالمجتمع وسد حاجاته.

أما حاجة المجتمع للتربية فتظهر فيما يلي:

- الإحتفاظ بالتراث الثقافي الذي يكون بنقل هذا التراث إلي الأجيال الناشئة عن طريق التربية.
- تعزيز التراث الثقافي : والتربية هنا هي القادرة علي إصلاح التراث من عيوبه القديمة.

ويعتبر بعض المربين أن حاجات المجتمع ست تمثل كل منها ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية وهي : الناحية الخلقية ، والناحية المهنية ، الناحية العائلية ، الناحية الوطنية ، الناحية الاستجمامية، والصحية .

- حاجة المجتمع إلي التربية الخلقية : يقصد بها التمسك بالمبادئ والقيم التي توارثها الإنسان عبر الأجيال، والتمسك بالفضائل، والابتعاد عن الرذائل المتفق عليها في ثقافة المجتمع.

- الحاجة إلي التربية المهنية : وهي حاجة ملحة لمسايرة النهضة الصناعية التي أثرت تأثيراً كبيراً في التربية والتعليم.
- الحاجة إلي التربية العائلية : التي تقوم بكل الوظائف تقريبا وتُرضي جميع الحاجات ولكنها في المجتمع الحديث نظراً لكثرة المتطلبات، لا تستطيع القيام بإرضائها كاملة الأمر الذي تطلب نشوء مؤسسات اجتماعية مساعدة، ولا تزال الأسرة تقوم ببعض وظائفها الأساسية كتربية النشء وتثقيفهم.
- الحاجة إلي التربية الوطنية : وتتمثل بالحاجة إلي إعداد المواطن الصالح .
- الحاجة إلي التربية الاستجمامية : كلما ارتقى الإنسان في سلم الحضارة ازداد وقت فراغه فالقوانين والاختراعات الحديثة تعمل علي تخفيض أوقات العمل، وكلما توافرت لدى المرء هذه الأوقات الثمينة صار لزاماً عليه أن يتعلم كيف يستفيد منها، لكي لا تذهب ضياعاً، ولا تكون مدعاة للبطالة والفساد .
- الحاجة إلي التربية الصحية : الأمة القوية وحدها هي التي تستطيع أن تخلق حضارة راقية، وتحافظ عليها، كما أن الفرد القوي وحده هو الذي يستطيع أن يحقق إمكانياته إلي أقصى مداها. فالصحة نعمة من نعم الله .

**5- أسباب ضرورية لتربية الفرد والمجتمع**

بناء على ما تقدم يمكن القول بان التربية ضرورية وهامة بالنسبة للفرد والمجتمع وذلك للأسباب التالية:

- التربية استراتيجية مجتمعية كبرى عند شعوب العالم، فهي لا تقل من حيث الأولوية عن أولوية الدفاع والأمن القومي ذلك أن رقي الشعوب وتقدمها وحضارتها تعتمد علي نوعية الأفراد وليس عددهم .

- تشكل التربية عاملاً هاماً في التنمية الاقتصادية للشعوب إذ أصبح ينظر للتربية من الناحية الاقتصادية علي أنها استثمار قومي للموارد البشرية. وللتربية دورهام في تنشيط المؤسسات الصناعية والإنتاجية من خلال تطوير المعرفة وأساليب العمل والإنتاج.
- إنها عامل هام في التنمية البشرية : للتربية دور هام في التنمية البشرية للأفراد من حيث كونهم في علاقة اجتماعية تفرضها عليهم أدوارهم المتعددة في المجتمع : كالقيام بدور المواطنة الصالحة القادرة علي تحمل المسؤوليات، والقيام بالواجبات التي تفرضها هذه المواطنة، وممارسة الحقوق والواجبات القومية والاجتماعية، وكذلك القيام بدور الأب والأم، ونجاح هذه الأدوار يتوقف علي درجة النضج التربوي.
- إنها ضرورة لإرساء الديموقراطية الصحيحة : فهناك مثل يقول:" كلما تعلم الإنسان زادت حريته" هذا يعني ارتباط الحرية بالتعليم لأنه يحرر الإنسان من قيود العبودية والجهل والحرية.
- إنها ضرورية للتماسك الاجتماعي: فهي تمثل عاملاً هاماً في توحيد الاتجاهات الدينية والفكرية والثقافية لدى أفراد المجتمع، فتساعدهم في خلق وحدة فكرية وتساعدهم علي التفاعل وتؤدي إلي ترابطهم وتماسكهم
- أنها عامل هام في إحداث الحراك الاجتماعي : ويقصد بالحراك الاجتماعي أو التنقل الاجتماعي Social Mobility ترقي الأفراد وتقدمهم في السلم الاجتماعي والتنقل إما أن يكون أفقياً وهو انتقال الظاهرة الثقافية من الشخص أو الجماعة إلي شخص أو جماعة أخرى متشابهين أو متطابقين دراسياً، إذا مرت هذه الظاهرة الثقافية من أعلى إلي أسفل أو من أسفل إلي أعلى. وقد يكون هناك تنقلاً توسطياً إذا ظلت مراكز الناس ومواضعهم عند التنقل غير محددة. ويتأثر التنقل الاجتماعي بالظروف والأسباب التالية :

- التغير الاجتماعي : يسهل التغير عملية انتقال الأفراد من أدنى السلم إلي أعلاه أو العكس كما يعمل علي فتح الطبقات وإزالة التحديدات الطبقية الضيقة .
- وسائل الاتصال : كلما زادت وسائل الاتصال بين الناس وبين الجماعات كلما شجع هذا علي التنقل الاجتماعي والعكس صحيح.
- تقسيم العمل: كلما اتسع نطاق تقسيم العمل وتنوع التخصص إلي درجة معقدة، يخلق ظروفاً تعيق الإنتقال السهل من طبقة إلي أخرى داخل المجتمع، وربما كان تقسيم العمل والتخصص احد العوامل الهامة في المجتمع الحديث إذ أدت إلي خلق التمايزات بين الناس وتصنيفهم في فئات وطبقات . وتلعب التربية دوراً هاماً في التقدم والحراك الاجتماعي، لأنها تزيد من توعية الفرد، وترفع رتبته، ومن ثم يتحسن دخله ويزداد، بمقدار ما يجيد من مهارات ومعرفة، ويرتب ذلك تحسن في وضعه الاقتصادي والاجتماعي.
- إنها ضرورية لبناء الدولة العصرية : الدولة التي تعيش عصرها علي أساس من التقدم التربوي والعلمي، ويتمتع فيها الفرد بالحياة الحرة الكريمة المصحوبة بالرفاهية و العدالة الاجتماعية...

**6- علاقة التربية بالمجتمع**

تتداخل العوامل المؤثرة في العملية التربوية، ويعد المجتمع أهمها، إذ منذ مرحلة الطفولة يبدأ الطفل بالتفاعل مع اسرته(المجتمع الصغير)، يبدأ أثر هذا التفاعل بالظهور مع سلوكياته. ثم تتطور كفاءاته وتنمو شخصيته بالتزامن مع تفاعله الاجتماعي (المدرسة ، الرفاق، مكان العمل والمجتمع الكبير...).

## 7- علاقة التربية بمشاكل المجتمع

تتأثر التربية مباشرة بالمجتمع، إذ مهما حاول الفرد زرع القيم الحسنة ، فإن المجتمع قادر على زعزعتها أو تثبيتها، لذلك لاوجود لصالحين في مجتمع طالح، ولا وجود لطالحين في مجتمع صالح، ورغم ذلك هذا لا يعني العدمية بل الندرة.

تتأثر التربية بمشاكل المجتمع والتي من أبرزها الفقر والبطالة، ورغم ذلك لايمكن لفرد تربى على القيم الدينية و السلوك الأخلاقي ضمن احترامه للعادات والتقاليد أن يهدم صرح تربيته الشامخ مهما كان تأثيرهما كبيراً في حياته،

## 8- علاقة التربية بثقافة المجتمع

تعد التربية رافداً أساسياً في نقل الثقافة وتعزيزها داخل المجتمع، وهذا ما بدأنا به موضوعنا, لذلك يحتاج الى تخطي الأنماط التقليدية الموجودة داخل المؤسسات التعليمية التي تعتمد المناهج النظرية ، بل يحتاج الى الوسائل العملية كإنشاء المعارض الثقافية، والمسرحيات الداعمة لمفهوم الثقافة، والحفاظ على الهوية و التراث... لأن العلاقة بين التربية والثقافة لاتقتصرعلى التعليم ، إنما تحتاج الى حياكة بشكل علمي رصين يصور اللغة والتراث والعادات والتقاليد والحضارة، يعكس شخصية الانسان الساعي لتطور مجتمعه وثقافته وأبناء جنسه ليعم الخير المجتمعات وتعم الفائدة الكرة الارضية لأنه سيكون مثلاً يقتدى به.

المراجع


1-ابراهيم ناصر ، التربية وثقافة المجتمع : تربية المجتمعات – بيروت ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة 1983.

2-إبراهيم عصمت مطاوع ، أصول التربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1995.

3- جورج شهلا وآخرون ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، طبعة أولى ، بيروت ، 1972.
4-علي خليل أبو العنين وآخرون، تأملات في علوم التربية كيف نفهمها، القاهرة – الدار الهندسية ، 2004.
5-عبد الحميد لطفي ، علم الاجتماع ، طبعة أولى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة 1978
6- محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية ، جدة ، المملكة العربية السعودية دار الشروق 1983.